

تعقيبٌ على نسبة أبيات

الأستاذ حبيب علي الراوي

قال : فأرسلها الذي اشتراها وأرسل معها أربعين مثقالاً »

ومن الكتاب المعاصرين الذين أوردوا هذه الحكاية الأستاذ أحمد أمين في كتابه « ظهر الإسلام » (ج 1 ص 117 - 118) وقد أوردتها على الوجه التالي :

« وهذا أبو علي القالي البغدادي ضاقت به الحال قبل أن يرحل إلى الأندلس حتى اضطر إلى بيع كتبه وهي أعز شيء عنده فباع نسخة من كتاب « الجهرة » وكان كلنا بها فاشتراها الشريف المرتضى فوجد عليها بخط أبي علي :
أنست بها عشرين عاماً وبعتهما الأبيات

ولم يشر الأستاذ أحمد أمين إلى المصدر الذي اعتمد عليه

وقد علق الدكتور مصطفى جواد على ذلك في المقدمة التي وضعها لكتاب « تكلمة أكمل الأكمال في الأنساب والأسماء والألقاب » لابن الصابوني ، الذي حققه الدكتور مصطفى ونشره المجمع العلمي العراقي عام 1377 هـ - 1957 م فقال :

« وهذا الأستاذ العالم أحمد أمين المصري يقول : وهذا أبو علي ... الخ ... ويذكر نص ما ورد في كتاب ظهر الإسلام للأستاذ أحمد أمين ويعقب على ذلك بقوله : « وقد تصحف على هذا العالم الفاضل « القالي » بالفاء فصار « القالي » ولما وتر في ذهنه أنه

اطلعت مؤخراً على الجزء الأول من المجلد الثامن لمجلة « اللسان العربي » وكان ضمن موضوعاته « ابن خالوية اللغوي ونسبة كتاب « الحجة إليه » (ص 502) بقلم عبد العال سالم مكرم الأستاذ بجامعة الكويت ، وفي معرض الحديث عن مكانة ابن خالوية اللغوية ، أشار الكاتب الفاضل ، إلى أن ابن دريد مؤلف كتاب « الجهرة » كان من بين تلاميذه ، وللتدليل على أهمية كتاب « الجهرة » أورد الحكاية التالية اعتماداً على المزهري للسيوطي 1 - 95 :

« فأبو علي القالي كان يملك نسخة من الجهرة بخط مؤلفها ، وكان قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فأبى : فاشتدت به الحاجة ، فباعها بأربعين مثقالاً وكتب عليها :

أنست بها عشرين عاماً وبعتهما
وقد طال ثبوتي بعدها وحنيني

وما كان ظني أنسي بأبيهما
ولو خلدتني في السجون ديونني
ولكن بعجز وافتقار وصبيبة
صغار عليهم تستهل شؤونني

فقلت ولم أملك سوابق عسرة
مقالة شكوى الفؤاد حزيرين :

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من رب بهن سنين

أنت بها عشرين عاماً ويعتبا ... الأبيات

فقيل ان المرتضى رد الجمهرة الى صاحبها
والله اعلم »

ويلاحظ ان السيوطي (— 911 هـ) قد استند
في روايته التي اوردها في الزهر على الفيروزبادي
— 817 هـ) حيث يقول « وجدت هذه الحكاية
مكتوبة بخط مجد الدين الفيروزبادي صاحب القاموس
على ظهر نسخة من كتاب العباب للصفالي ونقله عنه
تلميذه أبو حامد محمد بن الضياء الحنفي ونقلتها من
خطه » (انظر الزهر ج 1 ص 95)

ولعل ياتوت الحموي هو اقدم المؤرخين الذين
ذكروا هذه القصة والأبيات (— 626 هـ) ومن بعده
كان ابن خلكان (— 681 هـ) ، واذا علمنا ان ابا
الحسن الفالي توفي سنة 488 بينها كانت وفاة أبي
علي الفالي سنة 356 هـ وان الشريف المرتضى كانت
وفاته سنة 436 هـ نلاحظ ان هذا الأخير كان معاصراً
لابي الحسن الفالي ، كما ان احداً من المؤرخين لسم
ينسب هذه الأبيات أو بعضها الى أبي علي الفالي
الذي ارتحل الى الاندلس وهو في الخامسة والعشرين
من عمره وقبل ان تمسه الحاجة أو العوز ، وهناك
لقي كل اكرام وحفاوة ، وقيل انه استدعي من قبل
الخليفة الاندلسي آنذاك (انظر مقدمة عبد الجواد
الاسمعي لكتاب الامالي » .

ومن هنا نرجح ان تكون نسبة هذه الأبيات الى
ابي الحسن الفالي ، كما ذهب اليه الدكتور مصطفى
جواد ، ولكننا لا نوافق على ان الاستاذ أحمد امين
مسؤول عما في هذه القصة والأبيات من التصحيف ،
بل ان الذين حققوا كتاب « الزهر » للسيوطي وكذلك
الناسخون لهذا الكتاب هم الذين وقع لهم التصحيف في
المسألة ، ولا يشاركونهم السيوطي في هذا السهو لأن في
احد كتبه « بغية الوعاة » ج 1 ص 78 المطبوع سنة
1384 هـ) قد وردت هذه القصة بما فيها من أبيات
منسوية الى أبي الحسن الفالي لا الى أبي علي الفالي ،
هذا وسبحان من لا يسهو ولا يجوز عليه الخطأ .

الفالي . اضاف اليه البغدادي ، وزخرف الحكاية
بقوله « قيل ان يرحل الى الاندلس ، ولم يحل في ذلك
على كتاب من كتب الادب والتاريخ ، ولو علم ان
صاحب القصة والأبيات هو « الفالي » ما وهم ذلك
الوهم المستعظم على مثله ، المستغرب وجوده في
كتابه ، ولو درى انه أبو الحسن لا أبو علي لتريث
في الاقدام عليه » .

وقبل مناقشة صحة هذه القصة والأبيات الواردة
فيها لابد لنا من الرجوع الى المصادر القديمة التي
اعتمد عليها اولئك الكتاب الاغاضل الذين تطرقوا الى
هذا الموضوع فالدكتور مصطفى جواد يستند في قوله
ان ما اورده ياتوت في « معجم الادباء » وابن خلكان
في « وفيات الاعيان » ففي الجزء الخامس ص 82 —
83 من « معجم الادباء » ورد في ترجمة علي بن أحمد
ابن سلك الفالي « بالفاء » نسبة الى بلدة « فاله »
توله « وحدث أبو زكريا التبريزي قال : رأيت نسخة
بكتاب الجمهرة لابن دريد باعها أبو الحسن الفالي
بخمسة دنانير من القاضي أبي بكر بن بديل التبريزي
وحملها الى تبريز ، فنسخت انا منها نسخة فوجدت
في بعض المجلدات رقعة بخط الفالي فيها :

أنت بها عشرين حولاً ويعتبا ... الأبيات

نأريت القاضي ابا بكر الرقعة والأبيات فتوجع
وتال لو رأيتها لرددتها اليه وكان الفالي قد مات ،
ويشير المؤلف الى ان البيت الأخير « وقد تخرج
الحاجات يا أم مالك ... » منسوب لاحد الاعراب قاله
في بعض المناسبات ثم يورد الدكتور مصطفى الحكاية
بصورة تختلف بعض الاختلاف نقلاً عن ابن خلكان
« وفيات الاعيان ج 1 ص 366 — طبعة بلاد المعجم »
فيقول :

« وحكى الخطيب ابو زكريا يحيى بن علسي
التبريزي اللغوي ان ابا الحسن علي بن سلك (الفالي)
الاديب كان له نسخة من كتاب « الجمهرة » لابن دريد
في غاية الجودة فدعته الحاجة الى بيعها فباعها
فاشترها الشريف المرتضى أبو القاسم المذكور بستين
ديناراً فتصفحها فوجدت أبياتاً بخط بائعها أبي الحسن
المذكور ، والأبيات قوله :